مسرح التواصل التفاعلي
في حرب طوفان الأقصى

إيمان شمس الدين

رسمت مواقع التواصل الاجتماعي والميديا أو ما يسمّى بالعالم الافتراضي، معالم مرحلة تفاعلية جديدة في المجتمعات البشرية، لكن ليس بالضرورة كل تفاعل يمكن وصفه بالتفاعل الإيجابي، وليس بالضرورة ألا يتم تحويل هذا العالم إلى فرصة تتكامل مع الفرص الأخرى.

وتعتبر مواقع التواصل الاجتماعي مجالا حرّا إلى حد ما لتعبير الفرد عن ذاته المفقودة في وحول الاستبداد والقمع، ومع ذلك يمكن اعتبار هذه المواقع أيضا مرتعا للاستخبارات وجمع المعلومات وكشف الهويات ورسم خارطة استهدافات لم تكن ظاهرة قبل ذلك، فضلا عن فضاء آخر لهيمنة استبداد من نوع آخر، وتنفيسا للأفراد والمجتمعات المقموعة، يخفف من وطأة السّخط على السّلطات القامعة، مع إبقاء الحال على ما هو عليه، دون أدنى تغيير خارجي.

هذا فضلا عن كشف ميول المجتمعات وتوجهاتها، وكحال أي وسيلة، فإن لصناع القرار ومبرمجين العقول دور محوري في هذه الوسائل والوسائط. ومن المبكر من وجهة نظري معرفة التداعيات الأخطر لهذه المواقع على وعي الفرد والمجتمعات، وعلى حصيلتها المعرفية، وقدراتها الإدراكية، وإنتاجها للمعارف ونوعيّتها، بل مطابقة ما يحدث فيها من جدليّات وفتن لحقيقة الواقع الخارجي.

إضافة لدورها في صناعة وعي افتراضي يفرض تصوراته ويقينياته على الواقع الخارجي الحقيقي، وهو ما قد يؤدي لسلوكيات خارجية عابرة للاستقرار الاجتماعي، ومخترقة لأمنه.

فكلنا يعلم كيف يتم تجنيد كثير من الشباب عبر هذه الوسائل، والوسائط، بل كيف يتم هدر أوقاتهم عليها، وصناعة شعور مزيف بالإنجاز، أو أمام الشعور بالعجز في نصرة القضايا المحقة والمصيرية كقضية الحرب على غزة على سبيل المثال، يخوض معاركه في هذه الوسائل بطريقه تعوّضه عن شعوره بالعجز، فيعتقد أنه بذلك أنجز مهمته وأدى مسؤوليته اتجاهها، دون أدنى حراك خارجي يحقق تغييرا في هذه القضايا على أرض الواقع، وهو ما يعتبر هدر للطاقات والجهد، بينما المعركة الحقيقية تحدث في واقع مغاير مواز، يواجه

تحديات عظام، يُسَخّر فيها أعداءها كل طاقتهم في ميدان المعركة الحقيقي، بينما أغلبنا يعيش معاركه المفصلية والمصيرية بالنسبة له في العالم الافتراضي البعيد عن الواقع.

لكن ذلك لا يعني أبدا سلبيتها بالمطلق، بل لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورا هاما برز بشكل جليّ بعد الحرب على غزة، حيث كسرت هذه الوسائل هيمنة الرواية الرسمية للحكومات الغربية على وسائل الاعلام التي كانت محصورة في محطات كبرى، وتعددت بذلك وسائل نقل الأخبار، وفهم الواقع السياسي خارج الإطار الرسمي للدولة، وإن لبس لباس حرية التعبير، والتعددية، لكن واقعه كان يجسد غالبا آراء موجهة بطريقة ناعمة، وهذا ما كسرته وسائل التواصل الاجتماعي، وكشفته لوعي الشعوب الغربية.

وما تداعي هذ الشعوب بأغلبها، وتظاهرات الجامعات الكبرى، إلا استجابة في الأعم الأغلب لطبيعة التفاعل بينها وبين مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة في ما يتعلق بأحداث غزة التي كشفت لهم الحقيقة، وأذابت جليد الرواية الرسمية الذي دام عقودا.

مراحل وجبهات الوعي الافتراضية:

في هذا العالم الافتراضي هناك مراحل يمر بها الوعي والإدراك قبل أن يصل إلى مرحلة الانهيار:

- **الإغراق الاعلامي وانهيار الادراك:**

لقد أدرك علماء النفس على مدى سنوات أن البشر يمتلكون قدرة محدودة على تخزين المعلومات الحالية في الذاكرة، وقد أوضح عالم النفس جورج ميلر أنه يمكن للناس معالجة سبع مجموعات من المعلومات في وقت واحد. يقول ميلر: " إنه في ظل ظروف الإغراق المعلوماتي، يصبح من الممكن للناس اتخاذ قرارات أسوأ بناء على المعلومات التي تلقّوها بدلا من اتخاذ قرارات مدروسة، لذلك قدم ميلر نظرية معالجة المعلومات، وهي نظرية تركّز على فكرة أن البشر يعالجون المعلومات التي يتلقونها من البيئة، باستخدام نفس طريقة الكمبيوتر بدلا من الاستجابة للمثيرات، فيقوم عقل الطالب بإدخال المعلومات ومعالجتها وتخزينها لتكون جاهزة في المستقبل للاسترجاع".

ولكن المنطق أيضا رسم مسارا لعملية التفكير الإنساني وفقا لقدرات العقل، فأي سؤال يطرحه العقل لابد له من إجابة، وعادة السؤال والشك يستثيران العقل للذهاب للعملية العقلية التالية:

1. الانتقال من المجهول (السؤال، الشك) إلى المعلوم، والمعلوم هنا الذاكرة التي تخزن المعلومات.

2. ومن ثم الانتقال من المعلوم إلى المعلوم، أي البحث الرصين الجاد بين المعلومات المخزونة والمتعلقة والخاصة بموضوع ذلك المجهول (السؤال – الشك)، وعملية الانتقال هذه بين المعلومات تتطلب بحثا دقيقا، ونشاطا عقليا يربط بين المعلومات.
3. ومن ثم ينتقل بعد الوصول للإجابة من المعلوم الذي توصل له العقل - وهو الإجابة على السؤال أو يقين يدفع الشك – ينتقل من المعلوم إلى المجهول. أي ينكشف له الواقع فيصبح المجهول بعد هذه الرحلة معلوما لديه.

هذه هي الحركة الطبيعية التي يفترض أن يسلكها العقل القويم في مساره المعرفي، للوصول إلى النتيجة التي يفترض وفق هذا المسار أن تقوم على الدليل، وعلى ضوئها يتفاعل مع الإجابة، أو ينفي أو يثبت الشك، وينتقل هنا من التصور إلى التصديق.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن لنظرية المعرفة دور كبير في هذه العلميات، كونها تشكل المرجعية التي على أساسها تحدد لي المصادر المرجعية التي عليها أن تشكل معرفتي، والتي على ضوئها أشخص قيمة هذه المعارف، وأوجه سلوكي وفق قيمتها. فمصادر المعرفة لا تخرج عن هذه المصادر:

1. الحس
2. التجربة
3. العقل
4. النص
5. الحدس أو الوجدان

ولكل مصدر قيمته ودليله ومستوى مصداقية متحقق في الخارج. هذه المقدمة هي مقدمة توضيحية للطريقة السليمة في الانتقال من المجهول إلى المعلوم، والتفاعل مع التساؤلات والشكوك، وآلية اتخاذ القرارات المدروسة بعيدا عن الانفعال العاطفي، أو المثيرات التحفيزية التفاعلية الخارجية خاصة تلك السلبية منها.

الإغراق المعلوماتي (Information Overload) والمعروف أيضا بالتسمم بالمعلومات أو الانفجار المعلوماتي، هو الصعوبة في فهم قضية ما واتخاذ القرارات بفعالية مدروسة عندما يكون لدى المرء الكثير من المعلومات حول هذه المسألة، وهو يرتبط أيضا بالكمية المفرطة من المعلومات اليومية، خاصة عبر العالم الافتراضي والأخص وسائل التواصل الاجتماعي. فإذا تجاوزت المدخلات (المعلومات) قدرة المعالجة، يحدث حينها الإغراق المعلوماتي والذي من شأنه أن يقلل من جدة القرارات.

وقد تنوعت مصادر نقل هذه **الصور والمعلومات** المكثفة بعد تطور **التقنيات ووسائل التواصل الاجتماعي**، حيث يسيطر العمالقة الخمس: غوغل، آبل، فيس بوك، أمازون، ومايكروسوفت، على ٨٠٪ من هذه البيانات بحيث تحولت المعلومة الشخصية إلى نوع من منجم نفط جديد (منجم المعلومة) تبلغ قيمتها راهنا، حيث تباع إلى المعلنين والتّجار، عشرات مليارات الدولارات مع تزايد سنوي يقدّر ب ٤٠٪، ويطلق على هذه الشركات الخمس تسمية **GAFAM**، وقد تمكنت من الاستحواذ على مجمل العالم الرّقمي خلال سنوات معدودة، وهم يطمحون إلى إعادة تشكيل البشرية..

إنها العبودية الطوعية لهذه الأجهزة الرقمية يقبل عليها عن طيب خاطر، مما أصبح يطلق عليه تسمية **"سجناء فقاعة الشاشات الرقمية"**..[1]. فما إن تضغط بكبسة زر على فيديو بمحتوى محدد، حتى تجدد مئات **الفيديوهات** الشبيهة قد باتت جاهزة لك في التايم لاين، وكذلك في الانستغرام والفيس بوك، إذ تتحول رغباتك إلى سلعة تجذبك لقضاء مزيد من الوقت على هذه المواقع والشاشات، فبعد أن قدمت لها وغذيتها بمعلومات غير مباشرة عن رغباتك من خلال طبيعة مشاهداتك ومتابعاتك على موقع التواصل الاجتماعي وعلى شاشات اليوتيوب وغيرها، بات لديها أرشيف معلومات يغذيك بمحتويات شبيهة لرغباتك، لكن هي من تسيطر على نوعية التايم لاين وما يتصدره، وتكثف هي **الصور** والمحتويات الشبيهة وفق **تصوراتها** الخاصة عنك.

"وهذه ليست مسألة تقنية، بل هي خطة موضوعة في برمجيات تشغيل المنصات بتوجيه من العمالقة الخمسة لخلق ما يُسمّى **(اقتصاد الانتباه) "Economic Attention"** للاستحواذ على وقت المستخدم لأطول مدة ممكنة".[2] واقتصاد الانتباه يسهل ما يسمى سرقة الانتباه حيث يرتبط الإغراق المعلوماتي بالتعرض المفرط والعرض المفرط للمعلومات ووفرة المدخلات للمعلومات والبيانات.

فمع نمو هذه المنصات خاصة منصة إكس (تويتر سابقا) وفيس بوك (**X, Facebook**)، تزداد هيمنة المحتوى العاطفي والإثارة. وقد أوضح رونالد ديبرت نائب الرئيس السابق للسياسة العالمية والتواصل ومراقب حرب المعلومات في كتابه، الصادر في يناير ٢٠١٩م، "ثلاث حقائق مؤلمة" مرتبطة بوسائل التواصل الاجتماعي:

أولا: أن نموذج العمل يعتمد على المراقبة المستمرة لبيانات المستهلكين الشخصية؛

ثانيا: سماح المستخدمين بمثل هذه المراقبة عن طيب خاطر؛

ثالثا: أن **وسائل التواصل الاجتماعي** متوافقة في نواح معينة مع الاستبداد[3].

---

[1] حضارة السمكة الحمراء، مقالة حول سوق الانتباه، ترجمة وتقديم د. مصطفي حجازي، المركز الثقافي العربي، تأليف برونو باتينو، ط١، ٢٠٢١، ص ١٧.

[2] المصدر السابق، ص ٢٠.

[3] الفقاعة الافتراضية، الجيل الجديد والثورات الملونة، ضحى حمادي، مركز الاتحاد للأبحاث والتطوير، ١٣، آذار/ مارس ٢٠٢٣، ص ٤.

فلدى فيس بوك حوالي ٢،٦ مليار مستخدم على مستوى العالم، مما يخلق ما هو في الواقع نظام معلوماتي ضخم خاص به[4]. كما تمتلك جوجل، من جانبها، أكثر من ٩٠٪ من سوق البحث العالمي وتتلقي ٦٣٠٠٠ عملية بحث في الثانية في اليوم.[5]

إن ما تصنعه **وسائل التواصل الاجتماعي والميديا** هو تعدد للروايات والأقاويل الكاذبة، وضياع للحقيقة الواقعية، نظرا إلى تعدد الروايات والحقائق بتعدد المستخدمين. وحيث يصبح الواقع المختلق من قبل كل مستخدم، في عصرنا الرقمي هذا، واقعا حقيقيا يكون هو أول ضحاياه.

ذلك أن **الأخيولة** (قصة خرافية) المخترعة تتحول إلى حقيقة بما يُضَيّع الحقيقة الفعلية. كما أن التعدد اللانهائي للأصوات والروايات من دون تدقيق أو إثبات علمي، يجعل المستخدمين يعيشون في عالم من **الصور** المتنافرة وحيدين معا. (**Alone together**).[6]

قامت مواقع التواصل الاجتماعي بإزالة ملايين المنشورات وحظر آلاف الحسابات التي تبث أخبار حرب غزة، وتلقت الشركات الكبرى لوسائل التواصل الأمريكية (ميتا، إكس) تحذيرات أمريكية أوروبية بعقوبات قانونية إذا لم تحذف أي محتوى مؤيد لحركة ‘‘حماس’’ في منصاتها (فيس بوك، إنستغرام، إكس) وقد تم حذف حوالي 800 ألف محتوى خلال أسبوع من منصة ‘‘فيسبوك’’، وأنها حذفت أكثر من 500 ألف مقطع فيديو، وأغلقت 8 آلاف بث مباشر مرتبط بالصراع بين إسرائيل وحركة ‘‘حماس’’، بعد أيام من تحذّير الاتحاد الأوروبي. وأعلنت منصة ‘‘إكس’’، حذف مئات الحسابات التابعة لحركة ‘‘حماس’’، وحذف أو تصنيف عشرات الآلاف من المحتويات منذ بداية الحرب، وصرحت شركة ‘‘ميتا’’ أنها تقوم بتقييم متى يمكن أن نعتبر كلمة ‘‘صهيوني’’ بمثابة خطاب كراهية كي توسع حظر مستخدميها.

والإغراق المعلوماتي - خاصة عندما يتم توجيهه بنوعية معلومات محددة ومكثفة - يؤدي لاستخدام ما يسمى **"الإقناع الخفي"** وتلجأ الشّركات التّجاريّة المشهورة إلى علماء النّفس والسوسيولوجيا[7] والسيمولوجيا[8] وإلى خبراء **الدعاية والاعلام والتصميم**، من أجل صناعة منهجيّات وآليات **"الاقناع الخفي"**، حيث يتخذ الكلام منه الحيّز الأكبر في عمليّات **"تضليل العقول وفبركة الأفكار"**.

لقد صرّح رئيس نقابة العلاقات العامة التجارية في أميركا: بأنه يعمل من أجل **"فبركة الأفكار"**، إن الترويج التجاري يهدف قبل بيع السّلع إلى **"بيع الكلام"** و **"الأفكار والآراء"**.

---

[4] / The Era Of Manipulation, https://www.journalofdemocracy.org/authors/christopher-walker

[5] المصدر السابق

[6] حضارة السمكة الحمراء، مقالة حول سوق الانتباه، ترجمة وتقديم د. مصطفي حجازي، المركز الثقافي العربي، تأليف برونو باتينو، ط١ ص٢٣

[7] علم الاجتماع.

[8] علم العلامات والإشارات والدلالات.

فهذه الامبراطوريات الرقمية الجديدة بنت **أنموذجا** من العبودية الرقمية الطوعية دون انتباه منا أو توقع، فسوق الانتباه هذا **واقتصاد الانتباه** يطفئ الأنوار الفلسفية، لصالح الإشارات الرقمية في عقل الانسان، إنه يطفئ **النباهة الإنسانية** أي نباهة الإنسان، لصالح **اقتصاد الانتباه،** ويصنع غفلة الإنسان وغربته عن عقله وذاته وهويته، ويجعله رهينة **الصورة والمعلومات المكثفة** للعالم والواقع الافتراضي لا الحقيقي، وتحت وطأة هذا الإغراق، وسلب الانتباه، يحدث الانهيار الإدراكي.

والانهيار كتعريف عام هو فقد مقومات الاستمرار وعدم القدرة على الثبات، مما يؤدي إلى الاستسلام للواقع، وهنا على مستوى الإدراك، تحت قصف المعلومات المكثف والموجه والمحدد وسلبه لانتباهه ونباهته الفكرية، يستسلم إدراك الإنسان للواقع الذي تم محاصرته به بكثافة المعلومات الموجهة، فيبني تصديقاته المعرفية على أسس غير واقعية مما يدفعه للتفاعل مع هذا الواقع بانفعال وباتخاذ قرارات انفعالية غير مدروسة، أو مسلمات غير مدلل عليها وفق عملية التفكير السليمة، وهو ما ينبني عليه ممارسات وسلوك تؤثر على الفرد وعلى محيطه الأسري والاجتماعي، وعلى تفاعلاته الخارجية مع واقعه السياسي والاقتصادي.

- **المحاصرة وكي الوعي:**

تتم في هذه المرحلة محاصرة الفرد والمجتمع بكمية معلومات مكثفة وموجهة تحاصر وعي الإنسان، وتضغط عليه باتجاه محدد تغير من خلال هذا الضغط المعلوماتي الموجه المكثف قناعاته، أو تصنع له وعيا يتناسب مع مدراء هذه العملية وأهدافهم. هذا فضلا عن مواجهة مصادر الإعلام الخارجة عن معايير الغرب ومواقع التواصل الاجتماعي، كما ذكرت سابقا، بالحذف، أو التضييق، أو التعتيم، أو صعوبة الوصول إليها، من خلال عمل خوارزميات تم تغذيتها بمدخلات محددة، وفق معايير محددة، يتم من خلالها حذف كل ما يتطابق وهذه المدخلات الممنوعة. وبذلك يتم وضع سياج وفلتر على حركة المعلومات الداخلة، لتكون وفق رغبة المشغلين.

فالبيئة الإعلامية اليوم لم تعد محصورة كما السابق بحدود جغرافية ضيقة، تسيطر فيها السلطة على المدخلات الإعلامية ومخرجاتها، بل بعد العولمة وتحول العالم إلى قرية صغيرة، وتطور التقنيات ووسائل التواصل الاجتماعي، بات الحصار الجغرافي للمعلومات صعبا، بل يكاد يكون مستحيلا حتى في الدول الشمولية.

ولكن مع ذلك لا نستطيع نفي المحاصرة وإن بأشكال مختلفة، خاصة في العالم الافتراضي ووسائل التواصل الاجتماعي، التي باتت تقف خلفها مؤسسات وشركات عالمية، قادرة على محاصرة المعلومة، وممارسة الاستبداد في مدخلات المعلومات، فتسمح بسرديات بعضها عبر مدخلاتها، وتمنع بعضها الآخر الذي لا يتوافق وسياساتها

للنشر، والتي غالبا ما تكون خاضعة لحكومات عميقة، لها أجندتها السياسية والمعرفية، وهو ما كان جليا في الترويج للشذوذ الجنسي من جهة، وفي حرب غزة ومحاربة المحتوى الفلسطيني في أغلب مواقع التواصل الاجتماعي. هذا الحصار يهدف لكي الوعي من جهة، صناعة وعي خارج المنظومة المعرفية المرسومة والموجهة من جهة أخرى، وفق عقيدة وتوجهات وأهداف المشغلين.

النّخبة وتبدّل الدّلالة والوظيفة:

وفي ظل هذه التّبدّلات في المفاهيم والدلالات نستطيع القول أن حتى مفهوم **النُّخبَة** تمت إعادة إنتاجه بعد انتشار آليّات **الاعلام** الجديد وأدواته وتعقّد أدواره، ولأن هذا الانتشار خرج من دائرة السُّلطة إلى دائرة الانتشار التّلقائي ضمن حلقات **التواصل الاجتماعي**، بات يعتبر شكلا من أشكال إنتاج المعنى وتبادله، وشكل مفهوما جديدا **للنُّخبة** يُطلق عليه **"النُّخبة الالكترونيّة"**، فلم يعد مفهوم **النخبة الالكترونية** مدخلا تحليليّا لفهم البناء السياسي فحسب، بل أداة تحليليّة لفهم المجتمع برمّته، فهو يكشف حركة القوة والنفوذ وانتشارهما عبر المجالات الاجتماعية، فلم يعد هناك حديث عن نخبة ثقافية وسياسية أو مركزية فحسب، بل هناك **نخب** اجتماعية متعددة بتعدد المجالات. حيث تُعَرَّف **النخبة الاجتماعية** بأنها" مجموعة الأفراد الذين يتصدّرون واجهة المشهد المجتمعي بكافة صوره وتنوعاته في مرحلة زمنية ما".[9]

وتشكل **وسائل الاعلام** في مدرسة فرانكفورت قوة رئيسية لتكوين التنظيم الاجتماعي إنتاجه والسيطرة عليه، فالتكنولوجيا المعاصرة أداة لتنظيم العلاقات الاجتماعية وإدامتها أو تغييرها، ومظهرا من مظاهر أنماط السلوك الفكر السائد، ووسيلة للسيطرة الهيمنة، حيث تنتج التكنولوجيا ثقافة شاملة تعوّد الأفراد على الامتثال لأنماط التفكير والسلوك المهيمنين، وبالتالي توفر أداة قوية للرقابة الاجتماعية والهيمنة.[10]

ومن أهم سمات **"النّخبة الالكترونيّة"** هو المزج في تقديم ذاتها بين ما تطرحه من أفكار تخص الشّأن العام، وتقاطع ذلك معه ما تقدّمه من ذاتية وشخصنة؛ فكلما زادت المساحة الشخصية التي يقدمها الفرد لمتابعيه، زادت شدّة الارتباط بمتابعته وتقبل أطروحاته.

فالمؤثرون والذي يسمون **النخبة الالكترونية** من خلال حساباتهم الشخصية وبالتوازي مع المحتوى يسوقون أيضا لنمط حياة مبهر أ أفكارهم ومعتقداتهم السياسية والدينية، يعتمد على **الصورة** أغلب الأحيان، الأمر الذي ينعكس على استقبال الجمهور للمحتوى، حيث يخضع هذا الاستقبال لعوامل كثيرة متعلقة بشخص صاحب الحساب أكثر من المحتوى الذي يقدّمه،

---

[9] مصطفى شفيق علام،" الصراعات النخبوية وتوجهات الدولة المصرية ما بعد الثورة"، التقرير الاستراتيجي العاشر الصادر عن مجلة البين السعودية بعنوان: واقع الأمة بين الثرات والمرحلة الانتقالية، التقرير ٢٠١٣،١٠، ص ١٩٧ – ٢٢٠.

[10] عبد الاله بلقيز، الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٣).

فضلا عن تعقيد الترابط بين الأفكار وقائلها.. هذا التزاوج بين الشخصي والعام كان له انعكاسه على أنماط الخطاب الذي تتبنّاه تلك **النخب**، حيث غلب خطاب "الآنية والإثارة" و"الاستعراض الثقافي"، التركيز على منطق النجومية الدعاية والإشهار وحتى الصدمة، فضلا عن التحليل التجزيئي للأحداث والمعالجات التبسيطية لها، حيث يمتاز هذا **النموذج** بالقدرة على إنتاج استنتاجات معلبّة سهلة الحفظ والترديد سريعا؛ في مقابل محتوى أكثر رصانة يعتمد على تقديم **خطاب حجاجيّ** يستند إلى **معلومات موثّقة** ويقدم تحليلا دقيقا للأحداث والقضايا التي يتم تداولها... وهم أيضا من خلال حساباتهم الشخصية وبالتوازي مع المحتوى **يسوّقون إلى عقيدتهم الفكرية سياسية كانت أو دينية بل حتي نمط حياة البعض منهم**، يعتمد على **الصّورة** في أغلب الأحيان.. ويخضع استقبال الجمهور لعوامل كثيرة متعلقة بشخص صاحب الحساب أكثر من المحتوى الذي يقدمه..[11]

وفي المُحَصّلة هناك **علاقة طردية** رصدتها بعض الدراسات بين **نسب الاعجاب** بالصورة أو التّغريدة المنشورة **وحِدّة الاستقطاب**، فكلما **ارتفعت** نسبة الاعجاب شكّل ذلك منطقة استقطاب مهمة قد بترتب عليها **كسب** نفوذ رمزي، يمنح المُدَوّن أو المُؤَثّر قوة سلطة مستمدة من الوسيلة الإعلامية لها تأثيرها البالغ في توجيه الرأي وصناعة وعي المتابع، بل صناعة قناعاته أيضا، بل تتأثر عادة كثير من هذه النخب تحت ضغط الاعجاب، وإعادة النشر، برأي الجمهور الذي غالبا ما تسوقه العواطف والانفعالات والرغبات السطحية، ومن ثم فإن أهمية الأفكار والآراء والمواقف السّارية في منظومة شبكات التواصل الاجتماعي تقاس بحدّة الاستقطاب الذي تُحْدِثه، بغض النظر عن جودة مضامينها وانضباطها اللساني والأخلاقي.

الوعي الافتراضي وصناعة الثقافة:

ما ذكرته في السابق لا يعني أبدا سلبية هذه الوسائل بالمطلق، بل يدفعني هنا للعمل على منطقة الادراك وصناعة وعي يمكن أن أسميه الوعي بالعالم الافتراضي وإدارة الانتباه. فتقنيات القرآن الكريم ترشدنا إلى سواء السبيل في سورة نكررها يوميا في صلواتنا لله حيث نردد في سورة الحمد قوله تعالى: اهدنا الصرط المستقيم، صرط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين".

أي هناك ثلاث صراطات معرفيه:

1. الصراط المستقيم

[11] محرّكات التأثير في الفضاء الالكتروني من النخب التقليدية إلى مؤثرات الشبكات الاجتماعية، زهراء بسام النجار، مركز نهوض للدراسات والبحث، ص ١٤، ١٥.

2. صراط المغضوب عليهم

3. صراط الضالين

ونحن نطلب من الله أن يعيننا ويهدينا الصرط المستقيم، وهو صراط بعيد عن الضلال وعن الغضب الإلهي، فالضلال التباس في الرؤية، وتشوش في الأدراك، واتخاذ مسارات غير سوية في فهم الإرادة الإلهية، وإدراك الواقع الخارجي بطرق منطقية زود بها الإنسان، مما يوقع المرء في مسيره إلى الحقيقة في التواءات ومنحنيات فكرية ومعرفية وعقدية، تجعل مساره إلى الحقيقة مشوش ومشوب التيه، وكلما جد في مسيره ظانّا أنه سيصل، يبتعد عن الوصول، وكلما ظن أنه يتكامل فهو ينحدر ويضل الطريق، ويعاود الكرّة مجددا لكنه بسبب ضبابية المدخلات المعرفية، وتشوهها فهو ينهمك في مسارات لا توصله للحقيقة. أما المغضوب عليهم، فهم الذي سلكوا مسالك الشيطان المتمثلة بقوي الظلم والاستبداد والاستعمار، ووقعوا في شراكها، واختاروا طريقا معاكسا للحقيقة.

لذلك من مصاديق الابتعاد عن الضلال والغضب والاهتداء للصراط، هو الوعي بالعالم الافتراضي، وإدارة الانتباه.

فالوعي بالعالم الافتراضي يجلب انتباه الشخص إلى تعدد أدواره وتعدد ميادينه العملانية، ودراسة قدراته وقابلياته وفق كل دور، من خلال إدراكه للفرق بين العالم الافتراضي وعالم الواقع الخارجي، وقدرته على رسم الخطوط العريضة بينهما، وامتلاك القدرة على التوفيق بينهما بما يخدم الحقيقة. وهو ما يتطلب منه إدارة هذا الانتباه وقيادة التركيز لفهم الأولويات وترتيبها، وإدارة الوقت في العمل على هذه الأولويات وعدم الانزلاق إلى ما يسمى **"رضاعة التسلية"**.

يدفعه هذا الوعي لتنظيم الأدوار وتكاملها، وامتلاكه القدرة على الرصد والاستقراء، لفهم ميزان:

"أين، وكيف، ومتى، وماذا"، يستطيع من خلال هذا الميزان فهم أدوات الخطاب وآلياته ومنهجه، بحيث يدرك أن للعالم الافتراضي خطابه ولكل وسيلة فيه رسائلها، وكيفية الاستفادة من هذا العالم، وتسخيره لخدمة الواقع الخارجي بطريقة تكاملية في صناعة الوعي، والرصد الثقافي المطلوب، لتوجيه وعي الناس بالاتجاه المعرفي السليم، وتمكين المفاهيم من دلالاتها الصحيحة، وقطع الطريق على قطّاع طرق المعرفة السّاعين والمجدّين في صناعة دلالات لها، لا تنتمي لفضائنا الثقافي ولا المعرفي.

وبما أن النتيجة تتبع المقدمات، فلا بد للمشتغل بهذه الحقول المعرفية، أن يكون هو متمكنا منها، ويمتلك مروحة اطلاع واسعة، لا تنتمي إلى حقل تجميع المعلومات لتجميدها في الدماغ، بل تنتمي لحقل استقراء الواقع وإشكالياته ورصد أهم متطلبات الوعي ونواقصه،

ومن ثم ترجمتها من خلال العقل والتحليل والربط لتشكل رؤية استراتيجية في معالجة الثغرات الثقافية والمعرفية، ورؤية أخرى في إنتاج المعرفة الشبكية التي تقدم منظومة محكمة على مستوى الوعي الثقافي والمعرفي سواء للفرد أو المجتمع، وهو ما يمكن أن أسميه مستلهمة من الوعي القرآني **"التّفقّه والتّدافع"**.

ففي **التّفقه** ورد في سورة التوبة آية (١٢٢) قال تعالى**: " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"**.

ففي هذه الآية يقسم النفير إلى:

1. نفير عسكري، هو واجب كفائي إذا قام به عدد كاف من الأمة يسقط عن الباقين، والعدد هنا يتناسب مع طبيعة القضية وطبيعة المعركة، وليس خاضع لمعيار ثابت، فقد تكون القضية تخص بقعة جغرافية وفئة محدودة، فيكون العدد الكافي هنا متناسب مع هذه المحدودية، وقد تكون القضية قضية أمة وبقعتها الجغرافية واسعة، فكيون العدد هنا متناسب مع طبيعة هذه القضية.
2. ونفير آخر في التفقه في الدين، وهنا لا يعني فقط حصر التفقه في علوم دينية محددة، فالدين جاء لأجل نظم الحياة، بالتالي يكون التفقه في الدين بما ينظم هذه الحياة ويوجه مساراتها بشكل فاعل وناجز في مصير الأمة ومتواكبا مع تطوراتها وإشكاليّاتها ومستحدثات قضاياها، هذا التفقه المواكب هو المطلوب لهدف إنذار الأمة وتوجيه وعيها ونهضتها باتجاه التكامل الإنساني.

والنفير العسكري والمعرفي التّفقّهي متوازيان، فلا يصح أحدهما دون الآخر، بل يعتبر النفير التّفقّهي المعرفي جهاد الأمة الأكبر، فالعدو في النفير العسكري متشخص في الخارج ومعروفة هويته، بينما العدو في ميدان المعرفة خفي، يمتلك أدوات خفية في الهيمنة على الوعي، وتغيير المفاهيم والدلالات، لذلك معركته أشرس وأعمق، وهو يبدأ من ميدان النفس وخفاياها المظلمة، إلى ميدان الأسرة والمجتمع والعالم.

وفي **التّدافع** ورد في سورة البقرة، آية (٢٥١): **"ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين"**. وفي سورة الحج آية (٤٠)**:" ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز"**.

فالتدافع يؤدي لدفع الأعداء، ومن هنا جاء تشريع الجهاد لمواجهة الباطل وأنصاره، مع الحق والحقيقة وأنصارها، وكذلك هنا الجهاد ليس فقط العسكري منه وميدانه ساحة الحرب، بل

المعرفي وميدانه الأول النفس، فمن نصر الله في معركة العسكر، ونصر الله على نفسه في ميدان النفس، فإن الله ناصره لا محال.

غزة بين الوعي الواقعي والافتراضي:

في الحرب على غزة بدأت المعركة في **المرحلة الأولى** في ميدان الوعي الغربي، قبل ميدان العسكر من قبل كيان العدو الصهيوني، كانت هناك عمليات إغراق معلوماتي بدأت من حملة الترويج الإعلامي لكليشيهات وعناوين كثيرة منها:

1. " هل تدين حماس"
2. "٤٠ " طفلا تم قطع رأسهم"[12]
3. " تم اغتصاب النساء"[13].
4. حماس ارتكبت مجزرة
5. اعتداء حماس على إسرائيل
6. قتلت حماس المدنيين[14]

في هذه المرحلة تم توجيه الوعي باتجاه الضحية، وإبعاد الوعي عن الجلاد والمجرم الحقيقي، بحيث انصرف وعي الناس إلى تاريخ السابع من أكتوبر، وهو تاريخ عملية طوفان الأقصى، ولم يفكر أحد بطرح سؤال: لماذا طوفان الأقصى، ومن هو الضحية الحقيقية هنا؟

طبعا هذه المعركة كانت غربية بامتياز، كون الشعوب العربية متعاطفة بأغلبها مع القضية الفلسطينية، ومدركة أبعادها، فلم تتأثر بهذه الحملة، ولكن من تأثر هو الشعوب الغربية في بداية الحدث.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، آدم جونسون" و"عثمان علي"، الصحفيان بموقع "ذي إنترسبت**(The Intercept)** "، التقطا خيط العنصرية الصارخة في التغطية الإعلامية الغربية، ونشرا تقريرا موسعا في 9 يناير/كانون الثاني الجاري يعتمد على أساليب التحليل الإحصائي ذاتها لخطاب ثلاث من الصحف الأميركية الكبرى هي "نيويورك تايمز" و"واشنطن بوست" و"لوس أنجلوس تايمز" ما بين 7 أكتوبر/تشرين الأول و25

---

[12] نقلًا عن مراسلة قناة "i24" الإسرائيلية بأن مسؤولين إسرائيليين قالوا لها: إنهم عثروا على جثث أربعين رضيعًا برؤوس مقطوعة في إحدى مستوطنات غلاف قطاع غزة على أيدي عناصر حماس، وهو ما سارعت بنقله صحيفتا "ديلي ميل" و"التايمز" البريطانيتان، وكتبت الأخيرة في صدر صفحتها الأولى "حماس تذبح حناجر الرضع" ، لينتشر بعدها الخبر وتنقله صحف وقنوات تليفزيونية عديدة، من بينها شبكة "سي إن إن"، مما أدى لحشد الرأي العام الغربي في البداية ضد حماس، ويخرج بعدها الرئيس الأمريكي "جو بايدن"، ليتبنى الواقعة الكاذبة، ويعرب عن صدمته من المشاهد التي رآها، وهو ما سارع البيت الأبيض بعد ساعات لنفيه، وقال مسؤول أمريكي: إن "بايدن" أو المسؤولين الأمريكيين لم يروا هذه الصور أو يتحققوا منها بشكل مستقل، وبعد ذلك كشف إعلامي إسرائيلي اسمه "أورن زائف" كذب الواقعة من أساسها، وأكد أنه لا يوجد أي دليل على قتل حماس للرضع.

[13] لتفنيد المزاعم راجع :https://www.aljazeera.net/news/2024/3/5 /انتقادات-تطال-تقريرا-أمميا-عن-مزاعم

[14] للمزيد من الاطلاع راجع: https://www.palestine-studies.org/ar/node/1654793

نوفمبر/تشرين الثاني 2023، وكانت النتائج أكثر عنصرية من كل ما سبق، وبفارق ملحوظ[15] فمثلا ألفاظ مثل "ذبح" و " مروع" وفق تقرير ذي انترسبت، استخدمت مع القتلى الفلسطينيين والإسرائيليين بكثافة غير متناسبة مع عدد القتلى الحقيقيين:

1. استخدام لفظة **"مجزرة"** بالإشارة للقتلى الفلسطينيين والإسرائيليين تم:

- في لوس أنجلوس تايمز استخدم بحق القتلى الإسرائيليين ٢٢ مرة، ولم يستخدم أبدا بحق القتلى الفلسطينيين.
- نيويورك تايمز استخدم بحق القتلى الإسرائيليين ٢٢ مرة بينما بحق القتلى الفلسطينيين مرة واحدة.
- الواشنطن بوست استخدم بحق القتلى الإسرائيليين ١٦ مرة، ولم يستخدم ولا مرة بحق القتلى الفلسطينيين، ليصبح الإجمالي ٦٠ مرة بحق القتلى الإسرائيليين ومرة واحدة بحق الفلسطينيين، وهو فارق كبير جدا.

2. استخدام لفظة **"مروع"** بالإشارة للقتلى الفلسطينيين والإسرائيليين:

- لوس أنجلوس تايمز استخدم اللفظ ٩ مرات بحق الإسرائيليين ومرة واحدة بحق الفلسطينيين.
- نيويورك تايمز استخدم ١١ مرة بحق الإسرائيليين ومرة واحدة بحق الفلسطينيين.
- الواشنطن بوست استخدم ١٨ مرة بحق الإسرائيليين ومرتان بحق الفلسطينيين، ليكون الإجمالي ٣٨ مرة بحق الإسرائيليين وأربع مرات بحق الفلسطينيين.

3. استخدام لفظة **"مذبحة"** بالإشارة للقتلى الفلسطينيين والإسرائيليين:

- لوس أنجلوس تايمز استخدمت ٣٤ مرة بحق الإسرائيليين ومرة واحدة بحق الفلسطينيين.
- نيويورك تايمز استخدمت ٥٣ مرة بحق الإسرائيليين، ومرة واحدة بحق الفلسطينيين.
- واشنطن بوست استخدمت ٣٣ مرة بحق الإسرائيليين ومرتان بحق الفلسطينيين، ليكون المجموع ١٢٠ مرة بحق الإسرائيليين، وأربع مرات بحق الفلسطينيين.[16]

في **المرحلة الثانية** كانت المعركة الإعلامية انتقلت في إغراقها المعلوماتي إلى منطقتنا العربية، فبعد أن أعلنت المقاومة الإسلامية في لبنان وقوفها إلى جانب غزة كجبهة إسناد ودعم، بدأ الترويج بعد خطاب السيد حسن نصر الله الأول بعد عملية السابع من أكتوبر،

[15] تغطية حرب غزة في "ذا نيويورك تايمز" وصحف أميركية كبرى أخرى انحازت لإسرائيل بوضوح كما تظهر التحليلاتThe Intercept –

[16] المصدر:https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2024/1/18 /بالأرقام-والإحصاءات-عنصرية-الإعلام

وعدم اتخاذه قرار الحرب المفتوحة، بدأت عملية الإغراق المعلوماتي بالتوهين من فعل المقاومة الإسلامية كجبهة إسناد، بم سمي يومها **"معركة العواميد".**
وتداعت كثير من النخب الالكترونية التي يفترض أن تقود الناس إلى خلاصهم ووعيهم للحقيقة والحقائق، بدأت بقيادتهم إلى معركة جانبية توهن من جبهة الإسناد، وتقود حملة تشويه وتقزيم، بل وصل الأمر للتخوين. ولكن مع التقادم وتكشف استراتيجية المقاومة الإسلامية في مساندة غزة[17]، وتأثير جبهتها على العدو بتصريح منه، بدأ تتهافت الحملة، وانقلبت الصورة في وعي النخب ووعي متابعيها، لكن معركة حواضن جبهات الإسناد في هذه المرحلة، كانت تعكس تراجعا في الوعي في ساحة المعرفة لدى أغلب هذه الحواضن، عن مستوى الوعي العسكري لدى جبهات المقاومة، وهو ما شكل نقطة ضعف قوية، ستكون الثغرة التي سيستغلها فيما بعد العدو، في تكرار عمليات الإغراق المعلوماتي والانهيار الإدراكي لدى أغلب الحواضن، وفق ما يتناسب ومراحل الحرب، ومعطياتها، وإلى أي جهة سترجح كفة المعركة.

ثم جاءت **المرحلة الثالثة**، بعد انهيار **المرحلة الأولى** في الوعي الغربي أمام حقيقة المجازر التي ارتكبتها إسرائيل في حق المدنيين، وتهافت رواية إسرائيل حول حقيقة قطع رؤوس الأطفال واغتصاب النساء، واعترفت الصحف الصهيونية بتفعيل قانون هانيبعل، وبروز شهادات من الناجين من عملية طوفان الأقصى من الإسرائيليين المدنيين، أن من ارتكب مجزرة في المدنيين هو الطيران الصهيوني، وأن لا وجود لدليل حسي قطعي على قطع رؤوس الأطفال، بل بادرت حماس لنشر فيديوهات تثبت تعاملها الإنساني مع المدنيين.
المرحلة الثالثة انتقلت بعد انقلاب الصورة في الغرب، وكثافة الجرائم المرتكبة في حق المدنيين العزل في غزة، ورؤوس الأطفال الفلسطينيين المقطوعة نتيجة القصف الهمجي، وأشلاء المدنيين الممزقة تحت البيوت المقصوفة، ودور الصحافيين والاعلام المرئي في غزة في نقل المشهد الدموي للعالم الخارجي، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، كل ذلك صنع وعيا معاكسا لصورة إسرائيل الرسمية المروية والمصورة في العقل الغربي، وانقلبت الصورة في الذهن العام للشعوب الغربية، وسقط القناع، وبدأت إسرائيل تفقد مصداقيتها، وبدأت هنا أغلب النخب الغربية و الجماهير الغربية تستفيق من سكرتها بإسرائيل، وسقطت الرواية الرسمية التي هيمنت على الإعلام عقودا من الزمن، وصنعت من خلالها الحكومات الغربية وأمريكا وعي النخب في الجامعات والمؤسسات عبر هيمنتها على الإعلام، وروت غزة حكايتها للحقيقة بمشهدية الدم والأشلاء المقطعة، ووقعت الواقعة هنا في الوعي الغربي، بعد عملية الإغراق المعلوماتي التي قام بها الصحافيون والإعلام المرئي في غزة في مواقع التواصل الاجتماعي، وسقوط هيمنة هذه الحكومات الغربية على الاعلام وعلى

[17] للمزيد من الاطلاع مراجعة:https://www.almayadeen.net/research-papers /طوفان-الأقصى-وجبهة-لبنان-نتائج-حرب-العواميد-2

الرواية الرسمية لقصة إسرائيل، بالصورة والدليل بطريقة صادمة للوعي، ومعرية للرواية المزورة تاريخيا.
وهنا كان دور كثير من النخب الغربية والطلبة الأكاديميين مغايرة لدور كثير من النخب العربية، فلقد قادوا الشعوب الغربية لتظاهرات عارمة، واعتصامات في الجامعات الكبرى التي تخرج نخبة المستقبل التي يعول عليها في قيادة الدولة، وبدأت الإضرابات تجوب الجامعات العريقة، كهارفارد وكولومبيا في أمريكا، وأكسفورد في بريطانيا، وغيرها من الجامعات في الدول الغربية، بما وصف بانتفاضة الجامعات، فكان دورها إيجابيا في نهضة الوعي، ومعارضة الرواية الرسمية للحكومات الغربية، وقيادة الشارع لنصرة غزة، ودعم جبهات المقاومة بما فيها جبهات الإسناد، دون تقليل من جبهة، ودون توهين من فعل مقاوم. وهو عكس ما قامت به كثير من النخب العربية في بدايات الحرب.

بدأت **المرحلة الرابعة** هذه المرة في ساحة الوعي العربي، ولكن ليس تداعيا لحركة النخب الغربية وتضامنا معها، بل كالعادة أيضا.
فبعد قصف القنصلية الإيرانية في سوريا في الأول من نيسان عام ٢٠٢٤م، وإعلان إيران نيتها الرد على هذا الاعتداء على أراضيها، بدأت حملات التوهين والاستهزاء ضد إيران وخيارها، وبدأت عملية الإغراق المعلوماتي بالتضليل تارة، وبالفتن المذهبية تارة أخرى، واستغل ضعف وعي حواضن جبهات المقاومة مجددا، في صناعة معارك في مواقع التواصل الاجتماعي لا تصب في صالح غزة، ومؤازرتها، بل في مزيد من توهين الأمة، وتفتيتها، وتحويل البنادق في العالم الافتراضي باتجاه الحواضن بعضها ببعض. وعندما جاء الرد الإيراني بطريقة غير مسبوقة في الثالث عشر من نيسان ٢٠٢٤م أي بعد قرابة أسبوعين من استهداف إسرائيل للقنصلية الإيرانية في سوريا، حيث أمطرت إيران إسرائيل ولأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، بالصواريخ والمسيرات، حتى عبرت المسيرات والصواريخ فوق الكنيسيت الصهيوني، وفوق قبة الصخرة، بمشهد لم يعهده الاحتلال الصهيوني في فلسطين من قبل، بعد أن استنفرت أمريكا والغرب وبعض الدول العربية كالأردن ومصر كل طاقاتها للدفاع عن الكيان الصهيوني في وجه الضربة الإيرانية، ولولا هذا الاستنفار العسكري الدفاعي لما استطاعت إسرائيل الصمود في وجه هذا الرد.
وهنا بدأت مجددا عملية الإغراق المعلوماتي بقصص التشكيك تارة بقوة الضربة، وتارة بفاعليتها، وتارة بضعفها، وتارة بتأثيرها، وتارة بمذهبة القضية، وتارة بوصفها بالتمثيلية، وبدل أن تقود أغلب هذه النخب الناس إلى رشدها، انقادت أغلبها لمغريات ما يريده الجمهور، خوفا على عدد متابعيها، وعلى مصالحها التي تجنيها من مواقع التواصل الاجتماعي. فحدث تاريخي كهذا في عمر الصراع، بدل استغلاله في وحدة الأمة، وفي تقوية صورة الردع، وتعزيز مظهر القوة، انساق أغلب النخب لعدة أسباب، أحد أهمها أسباب

مذهبية وقومية، انقادت للتوهين وتقزيم العمل، والتشكيك، وتشتيت الأولويات تحت ضغط الانفعال والقرارات غير المدروسة نتيجة الإغراق وانهيار الإدراك.
طبعا لا تستطع كثيرا من هذه النخب التمييز بين ساحة وأخرى، أو فهم طبيعة تشابكات المصالح في ساحة واختلافاتها عن ساحة أخرى بين الدول، حيث كان لتدخل إيران وحزب الله في الساحة السورية الأثر الكبير في هذا التفتيت والتشتيت، وهو ما يعكس ضحالة الوعي، وسطحية قراءة الأحداث على المستوى الاستراتيجي، وضعف في قراءة العقل الأمريكي والإسرائيلي في الحروب الناعمة والصلبة والذكية، حتى عند كثير من النخب التي أضرت في هذه المرحلة بالفعل المقاوم ولم تدعمه. وهذا دليل على عدم السير المتوازي بين المقاومة العسكرية للجبهات والمقاومة المعرفية للحواضن.
بينما استمرت كثير من النخب الغربية والشعوب بأغلبها في الغرب، في عملها التصعيدي نصرة لغزة، والذي تنوع بين المظاهرات، والاحتجاجات بأشكال مختلفة، والاعتصامات في الجامعات، وتعبير الطلبة في حفلات التخرج بطريقة تنتصر لغزة، وتنتقد إسرائيل، بل وصل الأمر في أمريكا إلى الاعتصام خارج الكونجرس ضد نتنياهو، ووضع الدود على الطاولة التي كان سيجتمع عليها مع مجموعات نخبوية.

وبعد اغتيال القيادي في حماس إسماعيل هنية، والقيادي في حزب الله فؤاد شكر، وتوعد إيران للرد، وتوعد حزب الله للرد حتميا، دخلنا في مرحلة أخرى من مراحل الانهيار الادراكي أمام عملية الإغراق المعلوماتي، التي يفترض باتت مكشوفة للنخب وجماهيرها، إلا أنها للأسف نتيجة الوهن في فكر الأمة والسطحية في منظومتها المعرفية والفلسفية، وهيمنة الاستبداد عصورا على وعيها، نجد الأغلبية تخور قواها العقلية عند أول فتنة، فبعد عمليات الاغتيال المزدوجة والمتعاقبة زاد هذا من استنفار قوة أمريكا، من خلال استقدام أسطولها البحري الأقوى في راهننا إلى البحر ورسوه بالقرب من لبنان، وتمويل إسرائيل بمزيد من الأسلحة التدميرية، وتهديد إيران باستخدام السلاح النووي ضدها، وتهديد الناتو بالتدخل، حيث حاول نتنياهو استغلال الوجود العسكري الأضخم في منطقتنا لأمريكا، والتي لن يستطيع توفيرها فيما بعد، لجر حزب الله وإيران إلي حرب شاملة من خلال استفزازهم خارج قواعد الاشتباك، لدفع أمريكا للدخول في الحرب دفاعا عن إسرائيل، وهي حرب لو وقعت ستكون حرب تدميرية للجميع، بما فيها جبهات المقاومة، وسيخسر كل محور المقاومة ما بناه من قدرات وقوة، بل ستجعل من حرب غزة، حدثا هامشيا لا يلتفت إليه لا إعلاميا، ولا شعبيا، وهو ما تريده إسرائيل، لتضرب مقدرات المقاومة وقدراتها، ولتهيمن فيما بعد علي كل فلسطين، باستخدام عقيدة التدمير، عقيدة الضاحية لكن على محور المقاومة، الذي تطلق عليه إسرائيل اسم **"حلقة النار"**. حيث قال نتنياهو في خطابه في الكونجرس الأمريكي: لإيران إسرائيل هي الأولى، وأمريكا هي التالية، لذا عندما تقاتل إسرائيل حماس، فإننا نقاتل إيران، وعندما نقاتل حزب الله فنحن نقاتل إيران"، وعاد بعد

خطابه ليغتال القيادي في حمال إسماعيل هنية في طهران، وليستخدم ذريعة مجدل شمس الملفقة في اغتيال القيادي الكبير في حزب الله فؤاد شكر.
وهذه النوايا الإسرائيلية كشف عنها الصحفي البريطاني ديفيد هيرست رئيس تحرير ميدل إيست آي في فيديو نشره على موقعه في منصة "إكس" قائلا: "هدف نتنياهو الوحيد هو إشعال النار في المنطقة، وعلى العالم أجمع أن يدرك ذلك، لقد خسر حرب العلاقات العامة، وخسر الحرب القانونية، وهو يخسر الحرب العسكرية، وفرصته الوحيدة للنجاة هي جر أمريكا إلى مواجهة مباشرة مع إيران.
هذا يشكل تهديدا أساسيّا للسلام العالمي، يجب على الجميع أن يأملوا في سقوطه. وأضاف الحرب ضد حزب الله تعتبر مسألة "متى" وليس مسألة "إذا". وأكمل قائلا: إذا فشلت إسرائيل في تحقيق هدفها الأساسي المتمثل في تفكيك حماس بعد عشرة أشهر من إطلاق المزيد من القنابل على غزة، مقارنة بما ألقاه الحلفاء على دريسدن وهامبورج في الحرب العالمية الثانية، فكيف نعتقد بحق السماء أنها ستطيح أو تدفع حزب الله إلى الخلف. حزب الله مسلح بشكل أفضل بكثير من حماس بصواريخ دقيقة للغاية، ويمكنها التسلل تحت نظام القبة الحديدية، وبالتالي فإن إسرائيل بأكملها معرضة لحرب إقليمية على خمس جبهات، وهذا يتعارض بشكل أساسي مع اكل المصالح الغربية، خاصة بعد سلسلة الهزائم التي منيت بها السياسة الغربية في العراق واليمن وفي سوريا وفي ليبيا.

بعد عشرة أشهر طويلة تلقينا بعض التصريحات الخطيرة والمهمة من وجهة نظر نتنياهو، الأول كان من وزير دفاعه يوآف جالانت الذي قال إن إسرائيل لا تستطيع أهدافها عسكريا، هذا هو وزير دفاعه، والآن أصبح بايدن بنفسه والولايات المتحدة يقولان لا يمكن هزيمة حماس عسكريا، وشبكة الأنفاق الخاصة بهم أكثر اتساعا مما تصوروا، الطريقة الوحيدة لإخراج الرهائن الأحياء ال ١١٥ المتبقين من خلال المفاوضات، وليس لديه أي جوائز لهذه الحرب، فإن أحد أكبر التوترات في إسرائيل - وكان يثير الدهشة حقا – هي سياسة نتنياهو بشأن الرهائن حيث قال أنه بسبب ضغطنا العسكرية حماس كانت ستسلم الرهائن، وهذا وفق هيرست في الاتجاه المعاكس تماما.
إن القاتل الرئيسي للرهائن حتى الآن من وجهة نظر ديفيد هيرست، هو قصف الجيش الإسرائيلي لنفسه، حتى الرهائن الثلاث الذين كانوا يحاولون الاستسلام، تم إطلاق النار عليهم من قبل جنود إسرائيليين وفق هيرست. وختم ديفيد هيرست كلامه قائلا: أن الطريقة الوحيدة لاستعادة الرهائن المتبقين من خلال السلام والمفاوضات مع حماس".
فبعد رد المقاومة الإسلامية في لبنان على الاغتيال بطريقة ذكية ومتناسبة ومتناسقة مع الحدث ومعطيات الواقع في عملية أسمتها "عملية الأربعين"[18] لوقوعها في نفس يوم ذكرى

[18] لمزيد من وجهات النظر حول العملية https://al-akhbar.com/Politics/386313

الأربعين على استشهاد الإمام الحسين ع، وتحقيقها للهدف من هذه العملية، انطلقت كثير من النخب الالكترونية في العالم العربي والإسلامي لتقود الجماهير في حفلة زار مجنونة ضد المقاومة الإسلامية، لتوهّن من ردها، ولتعود للفتن العابرة للوعي من جديد، إضافة مجددا لتشكيكها بالرد الإيراني، وتسخيف رد المقاومة اللبنانية. لذلك نجد وقوع شرخ أدى لانقسام الأمة إلى أكثر من فسطاط رغم قربها الجغرافي من الحدث، واحتكاكها المباشر لعقود بواقع القضية الفلسطينية، إلا أنها انقسمت حول فلسطين وأحداثها وتداعيات هذه الأحداث، وآليات التعامل مع هذه الأحداث، بين مؤيد لجبهات الاسناد وقياداتها وهم أقليّة، والأغلبية بين متفرج يقف على التّل، وبين ناقد إما عن حب و"عشم"، أو بهدف الفتنة والمسبقات المذهبية، وتحيزاته الإدراكية.

وكان مرشد الثورة الإسلامية في إيران، قد كتب تغريدة على منصة إكس بنفس المناسبة وذكراها، يصف فيها المعركة بين الحق والباطل عبر التاريخ، بالمعركة بين جبهة الحسين ع وجبهة يزيد، في ربطه بين الحق الذي يمثله الحسين ع، والباطل الذي يمثله يزيد، بلغة واضحة وصريحة في دلالتها على الصراع بين الظلم والعدل، وبين الحق والباطل، دون الإشارة أبدا لمذهب بعينه.
وهو للأسف ما قاد إلى حملات ممنهجة ضد إيران من جهة، وحماس من جهة أخرى، والمقاومة الإسلامية في لبنان من جهة ثالثة، في حملة موجهة ومدروسة ضد جبهات المقاومة أغلبها كان من حواضن المقاومة ضد بعضهم البعض، وبدل استغلال الدم الذي اختلط بين المسلمين لأجل غزة لتوحيد صفوف الأمة، انخرطت النخب الإلكترونية، وكثير من علماء الأمة في الفتنة وأشعلوا لها النار، وزودوها بالحطب.
حيث أصدر بعض العلماء بيانات استنكارية ضد قائد الثورة الإسلامية الإيرانية في تأويل مخل لتغريدته، وبعض النخب التي لم تنضم لهذه الحملة، اضطرت لتفنيد التغريدة ضد هذه الحملة التي ربطت بين أهل السنة ويزيد، بينما أهل السنة براء من يزيد، في وقت يذبح فيه شعب غزة، وتستباح حرماته، وتنتشر في غزة الأمراض والمجاعات، ويسقط الشهداء في لبنان دعما لغزة، إذ وصل إلى حين كتابة هذه المقال عدد الشهداء في جبهة لبنان المساندة قرابة الخمسمئة شهيد ، بينما لم تنبز أي من الدول العربية المجهزة بالجيوش والسلاح لأي محاولة دفاع عن غزة وإن كمسرحية، بل لم يتصد كثيرا من العلماء لإصدار فتوى للجهاد وإعلان النفير العام - كما فعلوا في جبهة سوريا - نصرة لغزة، بينما قاموا بإصدار بيان يمزق الأمة، ويشتت شملها، ويمكن عدونا من أعناقنا.
هذا فضلا عن أن كثير من النخب الإلكترونية توهن من رد إيران المرتقب انتقاما لاغتيال القيادي في حماس إسماعيل هنية على أرضها، وتستهزئ به، بينما و باعتراف المقاومة في فلسطين، واعتراف العدو الإسرائيلي عن دور إيران المحوري في دعم غزة والضفة بكل أنواع الدعم المالي والعسكري وما قاله وذكرته في هذه الأورق سابقا نتنياهو عن خطورة

إيران على إسرائيل في خطابه في الكونجرس الأمريكي، إلا أن هذه النخب تربط هذا الدعم بمصالح تريد إيران تحقيقها، بينما فات هذه النخب أن إيران لو أرادت تحقيق مصالحها لرفعت يدها عن فلسطين فقط، وحققت بذلك كل ما تريد، بينما هي تتعرض للحصار الاقتصادي، وتواجه كل أنواع الاقصاء والتعنت والتهديد الدولي لدعمها لحركات التحرر في العالم من جهة، ولقضية فلسطين من جهة أخرى، وهو ما يعتبر نصا في دستورها السياسي، وفي دستورها العقائدي الديني.

لذلك وفق استقراء لواقع النخب في العالم العربي والإسلامي، من خلال رصد تفاعل أغليها في مواقع التواصل الاجتماعي منذ انطلاق طوفان الأقصى يمكننا القول إنها انقسمت إلى عدة توجهات:

1. نخبة مارست دورها المعتدل في قراءة الواقع، وتحليله وفق معطيات ومعلومات، ومعرفة مساحات تخصصها، وإن أبدت ملاحظات نقدية باتجاهات محددة، لكنها في صالح المسار العام، ولم تتحول منصتها إلى مصدرا لتصدير الفتن، وشق الصفوف.
2. نخبة كان دورها سلبيّا وغير متفاعل مع فلسين وقضيتها، واكتفت بإكمال حياتها الاعتيادية، وكانت تركز على نشاطات ثقافية وأدبية، وأفكار بعيدة عن فلسطين وما يحدث في غزة، نأيا بالنفس عن أي ملاحقات أمنية، أو عن تهميشها وإبعادها عن ساحة التفاعل الثقافي، بالتالي تضرر مصالحها.
3. نخب متفاعلة جدا وهذه انقسمت إلى:

- ناقلة للحدث، وناقدة لبعضه، تحت ضغط مشهدية الدم والمجازر، والخذلان العربي والإسلامي، واستفراد الصهاينة بغزة وأهلها ومقاومتها، لكن نقدا طال الواقع الميداني العسكري، وغالبا هي بعيدة عنه، وإن كان النقد حق، لكنه مقيد بشرط الزمان، والمكان، والفاعلية، وكلنا يدرك أنه في الحروب تؤجل النقود إلى وقف الحرب، وبعدها يصار إلى تقييمات وإعادة نظر، وسماع وجهات النظر الناقدة، فالأصل في النقد هو إحداث تغيير وتطوير من قبل المختص في ميدانه، وهذا غير متحقق إن من حيث التخصص، أو من حيث فاعلية التغيير والتطوير وقت الحرب من غير أهلها، أي المقاومين وقيادات المقاومة.
- نخبة واجهت هذه الفئة الناقدة، بنقد مضاد، بعضه شخصاني غير لائق ومتهافت، وبعضه عقلاني منطقي وعلمي أثرى الآراء، ونوع زوايا النظر، وطور وعي المتلقّي، وهؤلاء قلة.
- مجموعة من النخب لم تتفاعل مع الجدليات المطروحة، واكتفت بمواجهتها من خلال طرح الرؤى بأسلوب علمي ومنطقي، وقراءة الحدث السياسي وفق رؤية استراتيجية عميقة، أي قدمت البديل الصالح للمتابعين، دون التلوث بنيران الفتن، وبطريقة منهجية بعيدة المدى.

- نخبة وظيفتها كانت صناعة الفتنة بسبب التحيزات الإدراكية، مذهبية كانت أو طائفية، أو بسبب الشعور بالعجز، وعدم القدرة على نصرة غزة، لا بالكلام ولا بالفعل، فكانت تستثمر وجودها بطريقة سلبية.
- نخبة موجهة من قبل الحكومات الأمنية الإلكترونية، وهذه متواطئة مع كيان العدو ضد غزة، بالتالي كانت مهمتها صناعة الفتن لشق الصفوف، وتفكيك الاجماع حول المقاومة كخيار استراتيجي للأمة في مواجهة كيان العدو، وللتقليل أو تشويه فعل المقاومة، والتشيك بفاعلية محور المقاومة وضرب مصداقيته فيما يتعلق بنصرة فلسطين.

إذا نموذج غزة هو النموذج الأجلى لدور الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، في عمليات الإغراق المعلوماتي وانهيار الإدراك، والفارق بين طريقة استخدام هذه الوسائل من خلال مبدأ إدارة الانتباه والوعي الافتراضي المبني على التدافع والتفقه من قبل النخب الالكترونية والإعلامية والثقافية غربية كانت أو عربية، وبين طريقة أغلب مثيلاتها في منطقتنا، وفق مبدأ المحاصرة وكي الوعي. وهو النموذج الكاشف للفارق الكبير بين ميدان المعركة العسكرية المتفوق في جبهات المقاومة، ومعركة الوعي في عقر دار جبهات المقاومة، أي حواضنها ونخبها، الذين خسر أغلبهم المعركة مرارا وتكرارا، وهو ما يتطلب انتباه، وإدارة جادة تضع في حسبانها أهم تحديات هذه الساحة وإشكاليّاتها، وكيف يمكن معالجتها فكريا ومعرفيا، وما هي الوسائل لذلك والآليات، أو ما أسماه المفكر السياسي الأميركي جوزيف نايْ "الذكاء السياقي"، وهو القدرة على استيعاب ظروف الزمان والمكان والإمكان، وما يترتب عليها من ترتيب الأولويات، واختلاف الواجبات، ومَراتب المسؤوليات. فهذه ثغرة خطيرة يجب ردمها، فنجاحات ميدان العسكر، يهدرها غالبا خيبات معركة الوعي.